

مراحل تطور الاتصال الإنساني

إذا ما قارنا بين التطور الهائل الذي يشهده الإنسان اليوم في مجال ثورات الاتصال فإنه يفوق ما مر به من تطورات عبر المراحل التي قطعها منذ ملايين السنين ، ويمكن رصد كل مرحله من مراحل تطور الاتصال عبر تحديد الاستخدام المنظم للعلامات والإشارات والكتابة والطباعة ومن ثم لوسائل الاتصال الراهنة ويتجلى هذا التمييز عبر الاتي :

المرحلة الأولى : عصر الاشارات والعلامات

وتتمثل بمرحلة العلامات والاشارات فالأجناس الانسانية الاولى التي لم تكن تعرف بعد صناعة الادوات كانت تتواصل فيما بينها عن طريق اشارات وحركات مفهومة للجميع لذلك فان هذه المرحلة لم تشهد استخدام لغات منطوقة مستنده الى تراكيب معقدة للأصوات .

واستمرت الاشكال الاولى للحياة الانسانية ملايين السنين عبر عدد محدود من الاصوات كالصراخ والهمهمة فضلا عن الايماءات والاشارات ولذلك فان تطور ثقافة معقدة نسبياً لم يكن ممكناً في حقبة مرتكزة على هذه الادوات الاتصالية . نود الاشارة هنا الى اننا لا نتفق كثيراً مع هذه الفقرة وذلك استنادا لما جاء في القرآن الكريم بان الانسان خلق بأحسن تقويم وانه تميز عن بقية الكائنات الحية بالقدرة على التفكير والكلام لكننا نذكر هذه المعلومة ليعرف الطالب مسارات دراسة هذا العلم في الغرب .

المرحلة الثانية : عصر الاتصال اللفظي

وفيها تم تحقيق قفزة نوعية ومفاجئة عندما دخل الإنسان إلى مرحلة الكلمة واللغة وهذا يعني ان حضارة تلك الحقبة كانت مستندة إلى مجتمع قائم على الاتصال الكلامي ، ومن الواضح ان هذا التطور النوعي للغة الكلامية مارست تأثيرات عميقة على الأفراد والمجتمعات ، واذا كانت القدرة على استخدام اللغة المنطوقة لم تشكل سبباً مباشراً لتغيرات كبيرة فأنها سمحت للإنسانية ان تحقق قفزات نوعية عملاقة كان من المستحيل تحقيقها لولا اللغة الكلامية .

المرحلة الثالثة : عصر الكتابة

تجسدت هذه المرحلة بالانتقال إلى حقبة الكتابة التي تعد أداة هائلة لتطوير الإمكانيات الاتصالية الانسانية ، وقد ظهرت هذه الاداة الجديدة لدى الحضارات العراقية والمصرية القديمة بصورة عامة ، أي المناطق التي مارس فيها الإنسان الزراعة لأول مره في تاريخ البشرية .

المرحلة الرابعة :. عصر الطباعة

الى جانب الكتابة حقق الانسان انجازاً آخر فتح افاقاً عريضة في مجال الاتصال الا وهو اختراع الطباعة التي احدثت تغييرات جذرية في مجال اعادة انتاج وانتشار المعلومات والمعرفة ، وظهرت الطباعة على يد الالماني جوهان غوتنبيرغ عام ١٤٤٥ الذي اخترع نظاماً فريداً لإنتاج الاحرف والذي حقق قفزة نوعية حاسمة في تاريخ الاتصال الإنساني ، ولم يمض وقت طويل حتى بدأ التفكير بصناعة صحيفة يومية في القارة الأوربية وفي العالم ، واذ كانت البدايات قد شهدت صحافة يومية نخبوية فسرعان ما تم تطوير هذه الوسيلة الاعلامية الجديدة لتصبح خلال فترة زمنية قصيرة ذات طابع جمعي ثم جماهيري .

المرحلة الخامسة : عصر الاتصال الجماهيري

شهد القرن التاسع عشر معالم ثورة وسائل الاتصال الجماهيرية التي اكتمل نموها في النصف الأول من القرن العشرين ففي عام ١٨٢٤ اكتشف العالم ليم سترجون الموجات الكهرومغناطيسية واستطاع مورش اختراع التلغراف عام ١٨٣٧ ، وكذلك اخترع جراهام بيل التلغراف عام ١٨٧٦ لنقل الصوت الى مسافات بعيدة مستخدماً تكنولوجيا التلغراف ، وفي عام ١٨٦٥ شاهد الجمهور الفرنسي اول العروض السينمائية ثم اصبحت السينما ناطقة منذ عام ١٩٢٨ ، وفي عام ١٨٩٦ استطاع العالم الايطالي ماركوني اختراع اللاسلكي وكانت تلك هي المرة الاولى التي ينتقل فيها الصوت الى مسافات بعيدة من دون استخدام الاسلاك . وكان الالمان والكنديون اول من بدأ في توجيه خدمات الاذاعة الصوتية المنتظمة عام ١٩١٩ ثم تبعهم

الولايات المتحدة في عام ١٩٢٠ ، وفي عام ١٩٤٠ بدأت خدمات التلفزيون التجاري في الولايات المتحدة وخلال القرن العشرين اكتسبت وسائل الاتصال الجماهيرية اهمية كبيرة وخاصة الوسائل الالكترونية باعتبارها قنوات اساسية لنقل الاخبار والمعلومات والترفيه .

المرحلة السادسة : عصر الاتصال التفاعلي

شهد النصف الثاني من القرن العشرين من اشكال تكنولوجيا الاتصال ما يتضاءل امامه كل ما تحقق في عدة قرون سابقة ، ولعل من ابرز مظاهر تلك التكنولوجيا ذلك الاندماج الذي حدث بين تكنولوجيا الحاسبات الالكترونية واستخدامها في تخزين واسترجاع كل ما انتجه الفكر البشري بأسرع وقت ممكن وفي اقل حيز متاح وتكنولوجيا الاقمار الصناعية التي ساعدت على نقل الرسائل بشتى صورها عبر الدول والقارات بشكل فوري .

وتميزت التكنولوجيا الجديدة للاتصال بمجموعة من السمات نوجزها باختصار فيما:

١. التفاعلية : اذ يتبادل القائم بالاتصال والمتلقي الادوار وتكون ممارسة الاتصال مع المتلقي ثنائية الاتجاه وتبادلية .
٢. التفتتية : وتعني تعدد الرسائل التي يمكن الاختيار من بينها لتلائم الافراد او الجماعات الصغيرة المتجانسة بدلا من توحيد الرسائل لتلائم الجماهير العريضة .
٣. اللاتزامنية : وتعني امكانية ارسال واستقبال الرسائل في الوقت المناسب للفرد ، ففي حالة البريد الالكتروني يمكن توجيه الرسائل في أي وقت بغض النظر عن تواجد المتلقي للرسالة في وقت معين .
٤. الحركة والمرونة : اذ يمكن تحريك الوسائل الجديدة الى أي مكان مثل الحاسب الشخصي والهاتف المحمول وكاميرات الفيديو المحمولة .
٥. قابلية التحويل : اتاح الاتصال الرقمي امكانية تحويل الاشارات المسموعة الى رسائل مطبوعة او مصورة وبالعكس .
٦. الانتشار : ويعني تحول الوسائل الجديدة من مجرد ترف الى وسائل ضرورية ووظيفيه ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في حالة انتشار الهاتف المحمول على نطاق واسع .
٧. الكونية : اصبحت بيئة الاتصال بيئة عالمية تتخطى حواجز الزمان والمكان والرقابة .

شكل (١) يبين مراحل تطور الاتصال



ثالثاً : اهداف الاتصال

تسعى عملية الاتصال لتحقيق هدف عام هو التأثير في المستقبل حت تتحقق المشاركة في الخبرة مع المرسل، وقد يكون هذا التأثير موجهاً إلى أفكاره لتعديلها او تغييرها او الى اتجاهاته او مهاراته. لذلك يمكن تقسيم أهداف الاتصال وفق الاتي :

١ . هدف توجيهي:

يمكن أن يتحقق هذا الهدف حينما يتجه الاتصال إلى كسب المستقبل اتجاهات جديدة أو تعديل اتجاهات قدية أو تثبيت اتجاهات قديمة مرغوب فيها. وقد وضح من خلال الدراسات العديدة الي أجريت أن الاتصال الشخصي اقدر على تحقيق هذا الهدف من الاتصال الجماهيري.

٢ . هدف تثقيفي

يتحقق هذا الهدف حينما يتجه الاتصال نحو تبصير وتوعية المستقبلين بأمور تمهم بقصد مساعدتهم وزيادة معارفهم وتوسيع أفقهم لما يدور حولهم من احداث.

٣ . هدف تعليمي

يتحقق هذا الهدف حينما يتجه الاتصال نحو كسب المستقبل خبرات جديدة او مهارات او مفاهيم .

٤ . هدف ترفيهي او توجيهي

يتحقق هذا الهدف عندما يتجه الاتصال نحو ادخال البهجة والسرور والاستمتاع الة نفس المستقبل.

٥ . هدف اداري

يتحقق هذا الهدف عندما يتجه الاتصال نحو تحسين سير العمل وتوزيعِ للمسؤوليات ودعم التفاعل بين العاملين في المؤسسة او الهيئة.

٦. هدف اجتماعي

يتيح الاتصال الفرصة لزيادة احتكاك أفراد الجمهور مع بعضهم البعض وبذلك تقوى الصلات الاجتماعية بين الأفراد.